مولانا الشيخ محمد عادل الربّاني

لا تسعى الى حمل المسؤولية

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. بسم الله الرحمن الرحيم. الصلاة والسلام على رسولنا محمد سيد الأولين والآخرين. مدد يا رسول الله، مدد يا ساداتي أصحاب رسول الله، مدد يا مشايخنا، دستور مولانا الشيخ عبد الله الفائز الداغستاني، شيخ محمد ناظم الحقاني، مدد. طريقتنا الصحبة والخير في الجمعية.

بسم الله الرحمن الرحيم

إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ ۖ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا

صدق الله العظيم. يقول الله عز وجل "عرضنا هذه الأمانة على الجبال والأرض، فقالتا: لا نطيق هذه الأمانة. ولكن الإنسان قال "أنا أحملها، سأقبلها". ولكن هذا من الجهل، يقول الله عز وجل. كلاهما جاهل وظالم. قبلوها ظانين "أعطنا هذه النعمة، فنحن قادرون على كل شيء". فقالت الجبال والحجارة: لا نطيق هذا الحمل". إنه حمل ثقيل. ما يقدمه الله ﷻ ليس بالأمر الهيّن، لكن البشر رغبوا فيه لسهولته الظاهرية.

.

لذلك، يسعى الناس غالبًا إلى القيام بمهام جسيمة، وإنجاز أعمال عظيمة. يتصارعون ويتنافسون فيما بينهم ليروا من هو الأعلى. لكن الأمر ليس سهلاً. ليس من الهين أن تُؤتمن على أمانة غيرك. إنهم موكّلون بمسؤوليتك. استغلالهم كأدوات للتقدم الشخصي دون احترام حقوقهم ظلم وجهل. لأنه سيُسأل الجميع لاحقًا عن هذه الأمانة: "أردتَ هذا، أخذته، ماذا فعلتَ به؟ كيف حكمتَ؟ هل كنتَ عادلاً؟ هل أحسنتَ؟ هل اعتنيتَ بالناس؟ ماذا فعلتَ؟ أرني، أخبرني بما فعلتَ". يكمن الجهل في هذا. ويكمن الظلم في السعي للارتقاء على حساب الآخرين. اليوم، يتنافس العالم أجمع حتى في أصغر الأمور، قائلين "دعني أتقدم". لا يكترثون بالصواب والخطأ، إنما يسعون إلى الارتقاء وارضاء نفسهم. ولا يرضون أبدًا. فإذا ارتقوا قليلًا، أرادوا المزيد والمزيد. مهما فعلوا، لن يستطيع الإنسان إرضاء نفسه أبداً.

.

لذلك، يجب أن نتعلم طريق الله عز وجل من الصالحين، من نبينا الكريم ﷺ، من الصحابة، من العلماء، من أئمة الشريعة والمذاهب. لقد هربوا جميعًا هذه المسؤوليات. لم يرغبوا بها قط. عندما عُرضت على أبي حنيفة الفرصة ورفض، مُنع من اصدار الفتوى، ومن تقديم أي نصيحة أو حكم لأحد. تبلّغ هذا الخبر. فور تلقي الخبر، أشرق وجهه، ابتسم، وشكر الله ﷻ. صلى ركعتين شكر. قيل للخليفة "انظر ماذا سيفعل، كم سيغضب"! فلما أُخبر الخليفة، استغرب وقال "منعناه، فكيف يكون سعيدًا؟" أجاب "إصدار الفتاوى، تحمل مسؤولية الناس، هو أصعب الأمور. إنها مسؤوليات جسيمة. رضي الله عنكم لإعفائي من هذه المسؤولية. ولكن فقط لأنه أمرٌ عليّ، عليّ أن أفعل ذلك". لأنه يمتلك العلم، فلا يمكنه كتمانه. لا يجوز حجب علم العالم، أي علم العالم الحق، حتى ينتفع به الناس. لذلك، عليه أن يُسدي النصح باستمرار ويُجيب على من يسألون الفتوى. ولكن هذا أيضًا يحمل مسؤولية. المسؤولية ليست سهلة. عندما يصدر الأمر من أولي الأمر، أي القاضي، السلطان، يُرفع عنه هذا الحمل. لأن طاعة أولي الأمر واجبة. ومن لا يمتثل لها يرتكب إثمًا. وقد فرح أبو حنيفة كثيرًا لنجاته بهذه الطريقة. عرضوا عليه مناصب ورتبًا رفيعة. لكنه رفض أيًا منها. وفي النهاية، لرفضه، سُجن، ومات في السجن. ضربوه في السجن، لكنه ظل رافضًا. لأنه لم يُرد أن ينتفع من أحد. كان له تجارته الخاصة. وكان يأكل مما هو حلال. هرب من أن يصبح حاكماً أو قاضيًا. رفض كثيرًا، لكنهم حاولوا إجباره على ذلك. ولما رفض، ضربوه حتى الموت، فاستشهد. أعلى الله ﷻ درجاته.

.

مولانا الشيخ محمد عادل الرباني

هكذا كان حال الناس في الماضي. أما اليوم، فيرغب الناس في فعل كل شيء. "سأفعله، أستطيع فعله، أستطيع إنجازه". لذلك، يجب الحذر. إنها مسؤولية جسيمة. لا تطالب بها. إن أُعطيت، فاقبلها. وإن لم تُعطَ، فلا تطلبها. ابتعد عن المناصب والرتب. لا تقترب منها. المسؤولية هائلة. الله ﷻ يحفظنا. أولئك الذين يتّبعون نفوسهم ويسعون وراءها طوال حياتهم - فهم يسعون وراء هذه المناصب والرتب باستمرار، صباحًا ومساءً - لو كانوا يفعلون ذلك في طريق الله ﷻ، لكانوا أولياء، لكنهم لم يفعلوا. هناك كثيرون يُضيّعون حياتهم في السعي وراء المناصب والرتب. الله ﷻ يرزقهم العقل والفهم. الله ﷻ يحفظهم ويحفظنا، وأن يُبقي عقولنا سليمة. نرجو ألا نُخدع بأحد فنُضيّع أنفسنا، إن شاء الله. لأنهم يظهرون فجأة قائلين "سنجعلك كذا، تعال إلينا، سنرفعك، سنفعل كذا وكذا". لا تصدقوهم! لا تصدقوهم. آمن بالله ﷻ، اسلك طريق الله ﷻ. سيرفعك الله ﷻ. تلك هي مراتبه ﷻ، تلك المراتب، تلك هي المراتب المقبولة. أما مراتب الدنيا فلا تُقبل. ومن الله التوفيق. الفاتحة.

مولانا الشيخ محمد عادل الحقاني
23 آذار 2026/ 4 شوّال 1447
ليفكا، قبرص